مجلة الرائد

♦ العدد : ٢١٤ الموافق في رجب ١٤٢٠ هجري ١١ / ١٩٩٩ ميلادي

♦ عنوان المقال : من أولويات العمل الاجتماعي الإسلامي في الغرب (٢/١)	بقلم : د. مأمون مبيض

الجالية المسلمة في أوروبا : قد يمتد مصطلح العمل الاجتماعي الإسلامي في الغرب ليشمل المسلمين الموجودين في أوروبا وأمريكا ، إلا أن البحث هنا يركز بشكل محوري على الجالية المسلمة في أوروبا .

ولا بد عند الحديث عن العمل الاجتماعي أن نذكر أن المجتمعات بطبيعتها ليست ساكنة جامدة ، وإنما هي في تطور وتغير مستمر ، سواء المجتمعات الأوروبية أو الجالية المسلمة . ولذلك فلا بد من إعادة النظر في هذه الأولويات بما يتوافق مع هذه المتغيرات والتبدلات .

وليس من مهمات هذا البحث استعراض نشأة وتاريخ الوجود الإسلامي في أوروبا [١] إلا أن ما يهمنا هنا النقاط الآتية :

♦لم تعد الجالية المسلمة مجرد طبقة مهاجرة ، وإنما هي شريحة مستقرة هامة من شرائح المجتمع الأوروبي .

♦ يقدر حجم الجالية في غرب ووسط أوروبا بعشرين مليوناً بما في ذلك البوسنة والهرسك ، حيث عدد المسلمين في فرنسا (٤,٥)مليون ، وفي المملكة المتحدة (٣,٥) مليون ، وفي ألمانيا (٢,٥) ، وأن هذا العدد في ازدياد [٢] .

♦ تنوع هذه الجالية من حيث بلد المنشأ والثقافة واللغة ودرجة التعليم .

♦ انتشار التوزع الجغرافي في أرجاء أوروبا رغم وجود بعض التمركز الكمي في بعض المدن والمناطق .

♦ غلبة العنصر الشبابي في هذه الجالية مقارنة مع المجتمعات الأوروبية ككل ، ويعكس هذا أيضاً توزع الأعمار في البلاد الإسلامية . (وقد يتغير هذا التوزع بعد عقود من الزمن) .

حجم المشكلات الاجتماعية :

إن للجالية المسلمة في أوروبا طبيعة مركبة متميزة ؛ تتعلق بتاريخ نشأتها وعناصر تكوينها وحجمها ، ومحدودية الرعاية التي قدمت لها خلال العقود الطويلة من تاريخ وجودها في أوروبا . وتظهر هذه الطبيعة مدى حجم تعقد مشكلاتها الاجتماعية بمظاهرها الكثيرة . ويفيد أن نفرق هنا بين

ثلاثة مستويات من المشكلات والتحديات .

١- **المشكلات التي تعود لطبيعة تكوين الجالية المسلمة** بحد ذاتها ،كالأمية ، وكقدرتها على التعايش مع الآخر ، وموقفها من غير المسلمين من خلال فهمها للإسلام ، ومدى التماسك والتخلخل في بنيتها الإسلامية .

٢- **المشكلات التي تشترك فيها الجالية مع غيرها من الأقليات** الدينية أو العرقية ، والتي قد يكون لها علاقة بالمجموعات المهاجرة من ثقافة لأخرى ، كمستوى القدرة على التكيف مع ثقافة المجتمع المحيط . وإن كان كما ذكرنا سابقاً أن الجالية المسلمة لم تعد مجرد جالية ¤ مهاجرة ¤ .

٣- **المشكلات التي تفرزها البيئة الأوروبية** ، وهي هنا مشكلات لا تقتصر فقط على المسلمين أو الأقليات الأخرى ، وإنما تتسم بها الشرائح الاجتماعية المختلفة ، وحتى الأوروبية غير المسلمة ، كمشكلات البطالة عن العمل ، وصعوبة تأمين السكن المناسب ، ومستوى الدخل الاقتصادي ، ومحدودية الخدمات المقدمة .

إن هذا التركيب المعقد في المشكلات الاجتماعية يتجلى من خلال كثرة وعمق هذه المشكلات في المجالات التعليمية والاقتصادية والقضائية ، ومن خلال ضعف الموارد المتوفرة في المجتمعات الأوروبية لمواجهة هذه المشكلات ، وكذلك من خلال قلة موارد الجهات الإسلامية لمعالجة كل هذه المشكلات والتحديات . ومن أمثلة ذلك : ضعف الموارد المتوفرة للجالية في نطاق تعليم أبناء المسلمين الإسلام واللغات الإسلامية ، والتي لا تغطي أكثر من حاجات ٥% من أبناء الجالية على مستوى أوروبا [٣] .

وتتعدد مجالات المشكلات الاجتماعية لتشمل ما يأتي :

- الصعوبات الأسرية والمشكلات بين الأجيال خاصة .
- قلة من يدخل في التعليم الثانوي الطويل من أبناء المسلمين ، وبنسبة لا تزيد عن ٣-٥% [١].
- صعوبات الزواج المختلط وما ينتج من مشكلات الأبناء من هذا الزواج.
- ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين من الجالية .
- ضعف الاحتكاك والتواصل الاجتماعي مع المجتمع المحيط ، وقلة المشاركة في الأمور التي تهم المجتمع .
- ضعف مشاركة المرأة المسلمة عموماً في المؤسسات وحتى الإسلامية منها .

- مشكلات الجنوح وما يخالف القوانين (نسبة السجناء من المسلمين في بعض البلاد الأوروبية) .
- غلبة الشعور بعدم الراحة والانسجام عند الجالية من معيشتها في أوروبا
- ضياع الأجيال الشابة ، وفقدان الهوية الإسلامية .

مجالات استراتيجية عمل الشؤون الاجتماعية

ومن نافلة القول أن نؤكد على أهمية البعد الاجتماعي في استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب . ففي الجانب الاجتماعي تتدهور أوضاع الجالية المسلمة ، ومن الجانب الاجتماعي يمكن أن ننشد الإصلاح والخير لهذه الجالية .

ويفيد أن تتوجه مجالات العمل الاجتماعي إلى الجوانب الآتية (رغم التداخل فيما بينها) :

أولاً : الأسرة

وللأسرة الأهمية الكبرى في بناء المجتمع الإنساني بشكل عام والإسلامي بشكل خاص ، حيث يحض الإسلام على تكوين دعائم الأسرة والحياة الأسرية الناجحة . ولعل هذا يستفاد أيضاً من المقاصد الخمسة للشريعة ، وبالذات مقصد حفظ النسل ، وكل ما يتعلق بهذا من تأمين البيئة والجو السليم لهذا الحفظ ، وتكوين الإنسان المسلم السليم . وتقوم الأسرة برعاية الفرد والسهر على تلبية ما يحتاج إليه من الرعاية المادية والمعنوية والخدمات المختلفة . ولا شك أن الأسرة تكوِّن الوحدة الاجتماعية الأساسية التي تشكل نسيج المجتمع وطبيعة تكوينه وفاعلياته . والأسرة منطلق التنشئة الاجتماعية وأساس النموذج الحسن في المجتمع ، ومسار الاتجاهات الفكرية والسياسية والسلوكية في السياق الاجتماعي العام .

ويتأكد دور الأسرة المسلمة هذا في حال العيش في المجتمع الأوروبي ، حيث تغيب المعاني الإسلامية من الحياة الاجتماعية ، ويصبح جو الأسرة هو التعويض الرئيسي عن غياب الإسلام من الساحة الاجتماعية . وإذا لم يعش المسلم إسلامه صغيراً كان أم كبيراً داخل أسرته ، فأين يعيشه وهو في أوروبا ؟!

وهناك في أوروبا ما يدفعنا نحن المسلمين أن نولي الأسرة مزيداً من الرعاية والاهتمام ، ألا

وهو تفكك نظام الأسرة في بلاد الغرب . وهناك من يعتقد أن من الأمور الإيجابية التي يمكن للجالية المسلمة أن تقدمه لأوروبا ، حيث هي في أمسِّ الحاجة إليه ، ألا وهو النموذج الناجح للأسرة المترابطة الفاعلة [٤].

ولا شك أن صحة الأسرة وسلامتها من شأنه أن يجنبنا الكثير من المشكلات التي يمكن الوقاية منها ، وخاصة في بعض المناطق الأوروبية حيث مازالت الجالية المسلمة حديثة العهد ، حيث لا يوجد بعدُ إلا الجيل الثاني وبدايات الجيل الثالث (ومثال ذلك ايرلندا الشمالية والجنوبية) .

ومن التغيرات المحتملة التي يقدمها الدارسون للنظرة المستقبلية للأسرة ، والتي ستغير الطبيعة الوظيفية للأسرة المسلمة ، الجوانب الآتية : [٥]

١- انتشار التعليم سيؤدي إلى توزيع الأدوار بين الزوجين .

٢- العودة إلى نمط الأسرة الممتدة ، من خلال وجود الأسرة الكبيرة في منازل متقاربة .

٣- انتشار دور الحضانة للأطفال ودور رعاية المسنين للآباء .

٤- تقلص دور المرأة في الأسرة وارتباط مكانتها بإنتاجها المادي .

ومن الأهداف المقترحة للارتقاء بدور الأسرة الأمور الآتية :

- رفع مستوى وعي الأسرة المسلمة بطبيعة حياتها ووجودها في المجتمع الغربي .
- تعريف الأسرة بحقوقها في المجتمعات الأوروبية (القانونية والصحية والاقتصادية والخدمات ...) .
- تأمين الحد الأدنى من عوامل الاستقرار ، كالمسكن ، والوعي بآثار هذا الاستقرار على حياة الأسرة .
- توفير مستوى لائق من الإنسجام والتلاؤم داخل الأسرة الواحدة .
- المحافظة على الهوية الإسلامية ، والانتماء الثقافي الإسلامي للأسرة .

ومن وسائل تحقيق هذه الأمور :

- اهتمام المراكز الإسلامية/ المساجد بكل ما له علاقة برعاية الأسرة المسلمة عن طريق الخدمات والخطب والمحاضرات والنشرات .
- ضرورة استكتاب بعض العلماء المطلعين على طبيعة الحياة في الغرب للكتابة في " فقه الأقليات

" [٦] كمواضيع قروض البنوك لشراء المنازل ، والتعامل مع غير المسلمين ، والزواج المختلط ...

- عقد دورات وورشات عمل لمعالجة مواضيع الأسرة ، وخاصة العلاقات الزوجية ، والتعامل مع الأولاد .
- تشجيع الأسر على التعلم ودخول الجامعات ، والاستفادة مما يقام من دورات مهنية وحرفية .
- الاهتمام بتعريف الأسرة المسلمة بطبيعة وثقافة المجتمع الأوروبي المحيط (الإنكليزي ، الفرنسي ...) .
- تشجيع المسلمين على دخول مجال دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية والتعليمية (على المدى البعيد) .
- المجلة المتخصصة بقضايا الأسرة المسلمة عامة والمقيمة في الغرب خاصة .
- عقد ندوات ومؤتمرات مخصصة لقضايا الأسرة المسلمة في الغرب .
- تشجيع الأسر المسلمة على إبقاء الصلة الفعالة مع الأسرة الممتدة في البلد الإسلامي ، وخاصة زيارة بلاد المسلمين .

- من مصادر البحث :

(١) المسلمون في الغرب ومستقبلهم الثقافي : د. محمد الهواري . (اجتماع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - بروكسل ١٩٩٧) .

(٢) **J. Neilsen, Muslims in Western Europe, Edinburgh, 1991**

(٣) استراتيجية العمل الثقافي الإسلامي في الغرب : د. صلاح الدين الجعفراوي (اجتماع بروكسل ١٩٩٧

(٤) **Abdul Hakim Murad, The Fall of the Family, Cambridge,1998**

(٥) الأسرة المسلمة وعلاقاتها بالمتغيرات الحضارية : د. بشير الرشيدي . في الإسلام والمستقبل (من مطبوعات مؤتمر القمة الإسلامي الخامس) ، الكويت ١٩٨٧ .

(٦) فقه الأقليات المسلمة ـ الزواج الشرعي والزواج المدني : د. صلاح الدين النكدلي ، (الرائد ، ١٩٧) .

*** ألقي هذا الموضوع في الملتقى السنوي الرابع والعشرين الذي ينظمه المركز الإسلامي في آخن وكل من اتحاد الطلبة واتحاد العمال المسلمين في أوروبا ، وكان عنوانه الرئيسي : « أولويات العمل الإسلامي في الغرب » وعقد بتاريخ ٢٤-٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٠هـ ، ٨-١٠ آب/ أغسطس ١٩٩٩م .**